مكتبة الأطفال وكتبهم

كان الظن السائد أن الطفل يجب ألا يعرف غير القصص الخرافية والتافه من المعارف . والغريب أن هـذه القصص لم تكن مع ذلك لذيذة مغرية بالقراءة . ولم يخطر ببال الآباء والمعلمين من أبناء الجيل المـاضى أن الأطفال يحبون المعارف التى يحبها الكبار مع اختلاف فى الدرجة فقط ومع اختلاف فى اللغة التى تكتب بها . لأن مدخر الطفل المبتدئ فى القراءة لايزيد على بضع مئات من الكلمات ، فاذا صدمته كلمة غريبـة أعرض عما يقرأ مع رغبته الحارة فى الوقوف على حقائق القصة أو الموضوع الذى أمام عينيه .

ونحن نرى الأطفال يهرعون الى الدور السينمائية ويتبعون القصص والموضوعات المعروضة أمامهم ، ويذكرون أبطال هذه القصة أوتلك الأخرى التى يتتبعها ويذكرها الكبار . وهم يقبلون على اللوحة السينمائية لأنهم يجـدون الإغراء العظيم فى وقائع القصة وتصويرها بل تشخيصها . كما يجدون اللغة المبسطة التى يفهمون منها القدر الكافى لتتبع القصة .

ويجب علينا لذلك أن نستنتج أنه إذا كان الأطفال يهتمون لرؤية الأفلام السينمائية فإنهم يجب أن يهتموا لقراءة الكتب التى تستثير اهتمامهم ورغبتهم بالأسلوب الذى تكتب به واختيار الموضوعات والقصص الشائقة والعناية بالتصوير وغير ذلك .

وقد عرف هذه الحقيقة المهيمنون على كتب الأطفال فى أوربا فصارت تخرج الكتب من المطابع وهى مجلدة أحسن التجليد ومصورة بالألوان ، وموضوعاتها تختلف من العلوم الطبيعية الى التاريخ ، ومن القصص الى التراجم ، ومن وصف الوحوش الى حياة النبات . فالموضوعات كما يرى القارئ جدية ولكنها تعالج بطريقة لاتعدو كفاءة الأطفال . فان الطفل يمكنه مهما يكن عمره ومادام يستطيع القراءة البسيطة أن يقرأ تاريخ الأسكندر المقدونى وأن يلتذ وصف الحياة فى الهند وأن ينظر الى صـــورة الأسد ويعرف كيف يعيش فى الغابة . وقد رأينا موسوعة ألفها " ارثر مى " للأطفال تتناول المعـارف البشرية بأسلوب مبسط سواء فى اللغة أو الايجاز أو الترتيب . كما أن هذا المؤلف نفسه قد أخرج مؤلفا ضخما آخر هو تراجم الأبطال فى العالم ، الترجمة فيه لا تتجاوز بضع صفحات مزودة بالصورة أو الصور الجذابة .

وفى الولايات المتحدة مؤلف آخر هو " فان لون " استطاع أن يخرج تاريخا عاما ، ثم جغرافية عامة للعالم . وكلاهما تحفة يقتنيها الكبار وينتفعون بها قبل الصغار . فقد جعل المؤلف كلا من هذين العلمين قصة لذيذة تستهوى القارئ الصغير وتفتح له بابا بل أبوابا للثقافة .

وفى الولايات المتحدة أيضا كبير من كبراء التربية هو "نورتديك" فانه نظر فى المعاجم الانجليزية فوجد أنها مما يشق على الطفل البحث فيه . فألف معجما جديدا لا نستطيع أن نقول إنه موجز و إنما نقول إنه مبسط واف يسهل البحث فيه. ويجب ألا ننسى أن العادة الجارية فى أوربا أنه لا يؤلف الكتب للأطفال غير أفضل الكتاب وأقدرهم وأشهرهم . فان رديارد كبلنج الشاعر المشهور قد بنى شهرته على قصة بل قصص للأطفال . وكذلك ه . ج . ولز الكاتب العالمى قد ألف قصصا للأطفال .

ومجلات الأطفال كثيرة فى أوربا ، وهى تحتال على قرائها الصغار لكى تجذبهم الى القراءة والاهتمام بشؤون ثقافية مختلفة .

أما الحال فى مصر فليست مما يسر . لأن الأطفال عندنا لا يجدون الكتب الجذابة المغرية . ولا نستطيع أن نلقى اللوم وحده على المؤلفين ، لأن كتب الأطفال هى فى الواقع مجهود جماعى وليس فرديا ، اذ هو يتوقف على الطابع والناشر كما يتوقف على المؤلف . فان الطفل تغلب على يديه حركات العنف فى التناول وهو يجرى و يقفز . فاذا لم يكن الكتاب مجلدا متينا فانه يتناثر منه وسرعان مايكرهه هو بعدذلك، لأن جدته قد فارقته . فأول ماينبغى فى كتب الأطفال أن تكون مجلدة متينة . و بعد ذلك يجب أن نقول إننا مازلنا نسير على الرأى القديم وهو أن الأطفال يجب ألا يعرفوا التافه من المعلومات .وهذا خطأ أثبته المؤلفون الأوربيون والأمريكيون كما أثبته الأفلام السينمائية التى يهرع اليها الأطفال يشهدونها و يتفهمونها .

ولسنا ننكر بعض المجهودات التى قام بها مؤلفون مصريون . ولكن هذا المجهود لايزال ناقصا من ناحية اتقان الطبع والتجليد ، ومن ناحية الاقتصار على الموضوعات التافهة دون الموضوعات الخطيرة .